الفصل الأول[1]

القـــرآن

نـــور الله المـــبين

اعلم أن هذا الباب[2] واسع كبير ، ألف فيه العلماء كتباً كثيرة ، وصنفوا فيه تصانيف عديدة[3] ، نذكر من ذلك نكتاً[4] تدلُ على فضلهِ ، وما أعدّ الله لأهلِه[5] ، إذا أخلصوا الطلب لوجههِ[6] ، وعملوا به . فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق ، كلام من ليس كمثلِه شيء ، وصفة من ليس له شبيه ولاندّ[7] ، فهو من نور ذاته عز وجل ، وأن القرّاء ونغماتهم ، وهى أكسابهم التى يؤمرون بها فى حال ، إيجابا فى بعض العبادات ، وندباً فى كثير من الأوقات ، ويزجرون[8]

---

(١) جميع العناوين فى الكتاب من عندنا فالمصنف رحمه الله لم يضعها ، وقد رأينا وضعها تسهيلاً على القارىء وتعميماً للفائدة – والله المستعان . ولعل القارىء الخبير بكتب التراث يلاحظ أن نفس المعانى الجميلة التى ترددت فى مقدمة هذه الرسالة موجودة فى بداية تفسير القرطبى .

(٢) يقصد باب ماجاء فى فضل القرآن ، وآدابه ، وأحكامه .

(٣) ألفوا فيه مؤلفات كثيرة .

(٤) جملٌ وأقوال مما ذكر فى أفضال القرآن .

(٥) أهل القرآن وحملته .

(٦) أخلصوا النية فى طلبه ، وبذلوا ما وسعهم من جهد ودأب من أجل تعلمه ومعرفته ، ليس ذلك فقط بل عليهم أن يعملوا به .

(٧) الند : الشبيه أو المثيل وجمعها (أنداد) .

(٨) أى ينهون عنها إذا أجنبوا .

عنها إذا أُجنبوا ، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها . وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق ونطقت به الآثار ، ودل عليها المستفيض من الأخبار ، ولايتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو أكساب العباد ، ولولا أنه – سبحانه – جعل فى قلوب عباده من القوة على حملِه ماجعله ليتدبروه وليعتبروا وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته ، وأداء حقوقه وفرائضه ، لضعفت ولاندكت بثقله ، أو لتضعضعت[1] له ، وأنى تطيقه ، وهو يقول – تعالى جده – وقوله الحق :

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثالُ نضربها للناسِ لعلهم يتفكرون ﴾[2] .

فأين قوة القلوب من قوة الجبال ! ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على ما حمله ماشاء أن يرزقهم ، فضلاً منه ورحمةً .

▣ نـزول الوحـــى[3]

* كيفية نزول الوحى وأول ما نزل :

قال ابن عباس : القرآن هو المهيمن الأمين على كل كتاب قبله .

* وجاء فى البخارى حدثنا عبيدالله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، قال : أخبرتنى عائشة وابن عباس رضى الله عنهم قالا لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً .

---

(١) ضعفت .

(٢) سورة الحشر : ٢١ .

(٣) قال ابن عباس رضى الله عنه : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر .. ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة ثم قرأ ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ .

وقد أقام النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه فيها القرآن ، وبالمدينة عشرا . وقيل إن مدة النزول بمكة كانت خلال ثلاثة عشر عاماً ، لأن النبى عليه الصلاة والسلام بعث وهو ابن أربعين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين . وقد اجتمع لنزول القرآن شرف الزمان وشرف المكان .. فكان نزوله فى مكة وهو البلد الحرام وفى شهر رمضان وهو زمن شريف .=

وجاء عن موسى بن إسماعيل عن معتمر قال: سمعتُ أبى على أبى عثمان قال : أنبئتُ أن جبريل أتى النبى ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث فقال النبى

= وجاء فى الحديث أن من القرآن مكى ، ومنه مدنى ، فالمكى ما نزل قبل الهجرة .. والمدنى ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد حتى ولو كان بمكة أو عرفة . وقد أجمعوا على سور أنها من المكى .. وأخرى أنها من المدنى . واختلفوا فى أخر .

وقال بعضهم: كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية .. إلا البقرة وآل عمران .. كما أن كل سورة فيها ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ فهى مدنية .. وما فيه ﴿ يأيها الناس ﴾ فيحتمل أن تكون من هذا ومن هذا .. والغالب أنه مكى .

وقد يكون مدنياً كما فى البقرة : ﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ ..﴿ يأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾

راجع الحديث الأول والثانى من صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن ، باب نزول الوحى وأول ما نزل .

[فـائدة] :

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : إن الله تابع الوحى على رسول الله ﷺ حتى توفاه .

ومعناه أن نزول الوحى بالقرآن الكريم على النبى ﷺ كان مستمراً شيئاً بعد شىء طوال سنوات الرسالة بما يحتاج إليه . ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ فإن الوحى انقطع بعد هذه الآية حينا يقال ما يقرب من سنتين أو أكثر ثم تتابع نزول الآيات وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة ﴿ يأيها المدثر قم فأنذر ﴾ .

وقد روى أن رسول ﷺ حين انقطع عنه الوحى بعد نزول ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ أتته امرأة فقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك . فأنزل الله تعالى ﴿ والضحى والليل إذا سجى . ماودعك ربك وماقلى ﴾

لقد نزل القرآن بلسان قريش الذى هو لسان العرب قرآناً عربياً بلسان عربى مبين .. ونزل مفرقاً ليكون أبلغ فى العناية والإكرام .

[تنبيـه] :

جميع الأحاديث النبوية المطهرة الواردة فى هذا الفصل راجعها بتمامها وكمالها ولفظها فى كتاب صحيح البخارى باب : [فضائل القرآن] وهى معتمد المصنف كما قال فى أخر لوحة من لوحات هذا الفصل – والله أعلم – ويجدر بالذكر أن جل أحاديث فضائل القرآن يتفق عليها البخارى ومسلم دون خلاف .

ﷺ لأم سلمة: من هذا ؟ أو كما قالت: هذا دحية ، فلما قام قالت : والله ماحسبته إلا اياه حتى سمعتُ خطبة النبى ﷺ يخبر خبر جبريل أو كما قال : قال : أبى قلت لأبى عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال : من أسامة بن زيد(٥) .

* وقال النبى ﷺ : « **ما من الأنبياء نبى إلا أعطى مامثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** »(١) .

* وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : إن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحى قبل وفاته حتى توفاه ، أكثر ما كان الوحى ثم توفى رسول الله ﷺ بعد(٢) . [أى أن أكثر فترة تتابع الوحى على الرسول فترة قبل وفاته ﷺ] .

---

(٥) كان السفير بين الله وبين محمد عليه صلوات الله هو جبريل وهو ملك كريم .. ذو وجاهة وجلالة ومكانة .. كما مدحه الله تعالى بقوله : ﴿ **نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون** ﴾ .

وكان جبريل عليه السلام كثيراً مايأتى إلى النبى على صورة دحية بن خليفة الكلبى وكان من قبيلة أسامة بن زيد .

(١) قال النبى ﷺ « **ما مِن الأنبياء نبى إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر .. وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى .. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** » .

ومعنى الحديث أنه ما مِن نبى الا أعطى من المعجزات مايجعل من يهتدى من الناس يؤمن به بسبب هذه المعجزة .. التى تكون دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به هذا النبى فى زمانهم ، وشاءت الارادة الإلهية أن تنتهى معجزة كل نبى بموته عدا محمد صلوات الله وسلامه عليه الرسول الخاتم للأنبياء ، حيث كان ما أتاه الله وحياً منه يحفظه الله ويتناقلونه خلفاً عن سلف مابقيت السموات والأرض فالقرآن معجزة خالدة لايذهب أثرها بعد وفاة النبى عليه السلام ولذلك سيكون أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة – والله أعلم .

والحديث عن عبدالله بن يوسف عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه – راجع كتاب فضائل القرآن من صحيح البخارى باب كيف نزول الوحى وأول ما نزل .

(٢) الحديث عن عمرو بن محمد عن يعقوب بن إبراهيم عن صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب عن مالك بن أنس والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحى ، ومسلم كتاب التفسير حديث رقم (٣٠١٦) وأحمد فى مسنده (٣/٢٣٦) .

* وقال الأسود بن قيس[1] : سمعت جندبا يقول : « اشتكى النبى ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتته امرأة فقالت : يامحمد ماأرى شيطانك إلا قد تركك؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ **والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى** ﴾ .

▣ القـرآن بلسـان قريـش

نزل القرآن بلسان قريش والعرب. قرآنًا عربياً بلسان عربى مبين[2] .

قال أنس بن مالك : فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله ابن الزبير وعبدالرحمن بن الحرث [الحارث] بن هشام أن ينسخوا المصحف وقال لهم : إذا اختلفتم وزيد بن ثابت فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ، ففعلوا[3] .

---

(١) الحديث عن أبى نعيم عن سفيان عن الأسود بن قيس . والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب التفسير - تفسير سورة الضحى - ، والبيهقى فى دلائل النبوة باب فتور الوحى (٧٩/٧) ، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٤٨/٣٠) ، كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٣٦٠/٦) وعزاه لعبد بن حميد ، وأحمد .

(٢) ذكره البخارى بعنوان : نزول القرآن بلسان قريش ، والعرب قرآنا عربيا بلسان عربى مبين .

(٣) الحديث عن أبى اليمان عن شعيب عن الزهرى عن أنس بن مالك والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، من حديث طويل وأخرجه الترمذى فى أبواب التفسير - سورة التوبة - من حديث طويل وقال : حديث حسن صحيح .

[**فائـــدة**] :

كانت لغة قريش أو لهجتها هى أقرب اللهجات إلى لغة العرب جميعاً ، وهى أكثر اللهجات شيوعاً وانتشاراً وفهماً ، لما كان لقريش من وضع مميز بين العرب دينياً ، واقتصادياً، وسياسياً واجتماعياً ولعل ذلك يذكرنا باللهجة القاهرية مثلاً فهى تفهم فى أى مكان من عالمنا العربى لانتشارها بطرق عديدة ، ولما للقاهرة من مكانة بين العرب ، مثلها فى ذلك اللهجة القرشية التى كان لها مكانتها بين العرب قبل نزول القرآن .

وقال تعالى ﴿**تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**﴾ =

وكان يعلى بن أمية يقول: ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحى فلما كان النبى ﷺ بالجعرانة عليه ثوب قد أظل عليه ومعه ناس من أصحابه إذ جاءه رجل متضمخ بطيب فقال رسول الله : كيف ترى فى رجل أحرم فى جبة بعد ماتضمخ بطيب؟ فنظر النبى ﷺ ساعة فجاءه الوحى فأشار عمر إلى يعلى أن تعال:فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفاً، فالتمس الرجل فجىء به إلى النبى ﷺ فقال : « **أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم اصنع فى عمرتك كما تصنع فى حجك** »[1] .

= وقال تعالى : ﴿ **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ .

ثم تقاصر معهم التحدى إلى عشر سور فقال ﴿ **أم يقولون افتراه . قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ . ثم تحداهم بسورة واحدة فعجزوا لقوله ﴿ **أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين** ﴾ .

وقد أخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لن يستطيعوا ذلك فى المستقبل إلى يوم القيامة أيضاً بقوله : ﴿ **فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** ﴾ .

وهذا الكلام كان موجهاً للعرب أفصح الخلق.. وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام .. وضروبه .. لكن جاءهم من الله ما لاقبل لأحد من البشر به .. كما قال تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً** ﴾ .

وعن الحارث بن عبدالله قال : « مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى جدل وخلاف وكلام كثير فذهبت إلى على رضى الله عنه فقلت: ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها ؟ قلت نعم .. قال أما أنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنها ستكون فتنة** » فقلتُ : فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال : « **كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم مابينكم . هو الفصل ، ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط . هو الذى لاتزيغ به الأهواء . ولاتلتبس به الألسنة . ولايشبع منه العلماء .. ولايخلق على كثرة الرد .. ولاتنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا ﴿ إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى إلى الرشد فآمنا به ﴾ من قال به صدق ومن عمل به** أجر .. ومن حكم به عدل .. ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

(١) الحديث عن أبى نعيم ، عن همام عن عطاء ، قال مسدد: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء ، قال : أخبرنى صفوان بن يعلى بن أمية ... الحديث) .

والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش ، وأحمد (٢٢٢/٤) .

▣ جمع القرآن

قال زيد بن ثابت[1] رضى الله عنه : أرسل إلى أبى بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبوبكر رضى الله عنه أن عمر أتانى فقال : إنَ القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإنى أخشى أن يستحرَ القتل بالقراء بالمواطن

---

(١) الحديث عن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد بن السباق ، والحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ، والترمذى فى كتاب التفسير – سورة التوبة – وقال : حديث حسن غريب .

[فائـــدة] :

يقول زيد بن ثابت : إن أبابكر أرسل إليه بعد مقتل أهل اليمامة [فى موقعة اليمامة بين المسلمين والمرتدين] واستشهاد الكثير من حفاظ القرآن فيها فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبوبكر : إن عمر بن الخطاب أتانى فقال : إن القتل قد استحر (اشتد) بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل فى المواطن [فى حروب أخرى] فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قال زيد لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال عمر : هذا والله خير .. ثم لم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الرأى الذى رأى عمر .. ثم قال أبوبكر لزيد بن ثابت رضى الله عنه :

إنك رجل شاب عاقل ، لانتهمك ، كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه .

قال زيد بن ثابت : والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أتى به من جمع القرآن ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسيب واللخاف (صفائح الحديد الرقاق) .. ومن صدور الرجال .. ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى ولم أجدها مع غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ حتى خاتمة براءة .

ثم حفظت الصحف عند أبى بكر رضى الله عنه حتى توفاه الله .. ثم عند عمر مدة حياته .. ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه وفى رأينا أن جمع القرآن من أحسن وأعظم ما فعله الصديق رضى الله عنه فإن الله تعالى قد أقامه بعد النبى ﷺ مقاماً لاينبغى لأحد من بعده .. قاتل الأعداء من مانعى الزكاة . والمرتدين ، والفرس ، والروم ونفذ الجيوش .. وبعث البعوث والسرايا .. ورد الأمر إلى نصابه .. بعد الخوف من تفرقه وذهابه وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارىء من حفظه كله – وكان هذا من سر قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ولهذا روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبوبكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن .

فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلتُ لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، قال عمر : هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علىّ مما أمرنى به من جمع القرآن قلتُ : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال : هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره : ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم** ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر مدة حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنه .

* وقدم حذيفة بن اليمان على عثمان[1] وكان يغازى أهل الشام فى فتح

---

(١) الحديث عن موسى عن إبراهيم عن ابن شهاب عن أنس بن مالك .

[**فائـــدة**] :

يروى البخارى رضى الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضى الله عنهما .. بعد عودة حذيفة من جهاده بالشام فى فتح أرمينية وأذربيجان .. وقد أفزعه مارآه من اختلافهم فى القراءة . فقال لعثمان : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ... قبل أن يختلفوا فى الكتاب .. فأرسل عثمان بن عفان إلى حفصة ابنة عمر أن أرسلى إلينا الصحف التى كتب فيها القرآن فننسخها ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان : فأمر زيد بن ثابت .. وعبدالله بن الزبير .. وسعيد بن العاص .. وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوا صوراً منها . وقال عثمان موجهاً حديثه إلى ابن الزبير ، وابن العاص ، وابن الحارث « رهط القرشيين » الثلاثة .. إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت (رئيس فريق العمل) فى شىء من طريقة الكتابة فاكتبوها بطريقة قريش فى كتابتها .

والمقصود من ذلك أنها لغة رسول الله ﷺ ... وأفصح لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره .

* وقد كان ذلك من أعظم مناقب عثمان . إن لم يكن أعظمها على الإطلاق – وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا ووافقه على ذلك جميع الصحابة ... حتى قال على بن أبى طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا .

.....

.....

= فاتفق الأئمة الأربعة : أبوبكر .. وعمر .. وعثمان وعلى .. على أن ذلك من مصالح الدين .. وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ فى شأنهم « **عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى** » .

• وقد روى الإمام ابن كثير رضى الله عنه أن ذلك حفظ القرآن من الاختلاف فى طريقة الكتابة التى قد تؤدى إلى الاختلاف فى التدبر .. إلى ماينشأ من ذلك كما حدث فى كتب اليهود .. فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة .. والسامرة يخالفونهم فى ألفاظ كثيرة ومعان أيضاً .. وليس فى توراة السامرة حروف الهمزة .. ولا حرف الهاء ولا الياء ..

• أما عن طريقة كتابة المصحف فقد جلس هؤلاء النفر الكرام الأربعة يكتبون نسخاً من القرآن من الأصل الذى كان محفوظاً عند السيدة/ حفصة رضى الله عنها كما تقدم وإذا اختلفوا فى طريقة كتابة شىء رجعوا إلى عثمان رضى الله عنه . فمثلاً اختلفوا فى كلمة التابوت .. أيكتبونها بالتاء فى نهايتها أم بالهاء؟ فلما رجعوا إلى عثمان أمرهم أن يكتبوها بطريقة قريش .

وكانت مواضع الآيات .. والسور .. كما هى كما كتبت فى عهد النبى ﷺ فإنه كان إذا نزل عليه شىء من القرآن دعا بعض من كان يكتب فيقول : « **ضعوا هؤلاء الآيات من السورة التى يذكر فيها كذا وكذا** » .

• وكانت سورة الأنفال من أول مانزل بالمدينة .. وكانت براءة من آخر القرآن .. وكان ملورد فى السورة الأولى يشبه ملورد فى الآخرى ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبن أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بينهما فاصل بسم الله الرحمن الرحيم ويفهم من ذلك أن ترتيب الآيات فى السور أمر توفيقى متلقى عن النبى ﷺ ولا دخل لفريق العمل بقيادة زيد بن ثابت فيه .

• ومن أجل ماتقدم من ترتيب السور فإنه يستحب الاقتداء بسيدنا عثمان رضى الله عنه بأن يقرأ القرآن متواليا .. كما قرأ فى صلاة الجمعة بسورة الجمعة وسورة المنافقين . وتارة «بسبح» و« هل أتاك حديث الغاشية » .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (آلم) السجده . وهل أتى على الأنسان .. وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً .

فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ سورة البقرة ، ثم سورة النساء . ثم سورة آل عمران .

• قام عثمان رضى الله عنه بعد نسخ المصاحف بإرسال مصحف إلى كل من مكة ... والبصرة ... و الكوفة . والشام .. واليمن .. والبحرين وترك عند أهل المدينة مصحفاً .. وأمر بعد ذلك أن يحرق ماعند الناس من المصاحف بعد كتابة مصاحفه خشية أن يكون فيها – وقد كتبوها بأنفسهم – مايخالف إذ لم تراجع . وقد وافقه الصحابة فى عصره على ذلك .. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه .. وذلك فى جملة ما أنكروه عليه وهم جملة من الحاقدين الموتورين الذين لا دين ولا خلاق لهم .. بينما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ فى عصرهم قد وافقوه وباركوه . =

أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة بن اليمان اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : ياأمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلى إلينا بالصحف

= وقد تقدم أن الخوف قد اشتد من قتل قراء القرآن الذين كانوا يحفظونه فى صدورهم خشية أن تذهب بعض الآيات بذهابهم ، وتفصيل هذه المعركة : أن عدو الله مسيلمة الكذاب التف معه من المرتدين نحو مائة ألف .. فجهز الصديق لقتاله سيف الله المسلول خالد بن الوليد فى نحو ثلاثة عشر ألفا .. فالتقوا معهم – فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة ما فيه من الأعراب الذين لا إيمان لهم ولا عهد ، أو غير المدربين تدريباً عسكرياً منظما . وكان فى الجيش عدد كبير من القراء الذين يحفظون القرآن وهم من كبار الصحابة فقالوا لخالد بن الوليد : ميزنا عن هؤلاء الأعراب ، أى اجمعنا مع بعضنا لنحارب فى قوة واجعلنا فى الصفوف الأولى ، فجمعهم خالد وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . فصدقوا الحملة .. وقاتلوا قتالاً شديداً . وكان شعارهم وهم يتنادون بينهم ، ياأصحاب سورة البقرة . فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم.. وتولى جيش الكفر فاراً .. وتبعتهم سيوف المسلمين تعمل فيهم قتلاً ، وأسر وقتل مسيلمة وتفرق أصحابه .. ثم رجعوا إلى الإسلام ولكن قتل من القراء يومئذ نحو خمسمائة .. فلهذا أشار عمر على الصديق بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال .

• ويرى بعض المؤرخين أن آيات القرآن لم تجمع « سوراً » فى عهد الرسول ، وينضم إليهم بعض المستشرقين ، ويأخذون على جامعى القرآن أنهم لم يراعوا أوقات النزول ، ولاتقديم مانزل بمكة على ما نزل بالمدينة ، ولم يعنوا بتأليف الآيات حسب موضوعاتها !! وهؤلاء المستشرقون مخطئون ؛ لأن الذى لاشك فيه أن الآيات جمعت « سوراً » فى حياة الرسول وبإرشاده ، وقد قرأ زيد بن ثابت القرآن كله على رسول الله ، وكان الرسول يعرض القرآن على جبريل فى كل عام ، وقصة إسلام عمر ترينا أنه طلب إلى أخته فاطمة أن تعطيه الصحيفة التى كانوا يقرءون فيها ، فإذا بها سورة «طه» ، ثم نجد ذلك فى نصوص القرآن قوله تعالى : ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ ، وقد تكرر فى القرآن نعته بالكتاب : ﴿ **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ﴾ ثم ان المؤرخين متفقون على أن ترتيب الآيات فى السور كان واحدا فى كل المصاحف التى جمعت قبل وفاة الرسول .

وكل هذا يقطع بصحة ما قلنا من أن الآيات جمعت سوراً فى حياة الرسول وبتوقيفه ، أما ترتيب السور فذلك ما اختلف فيه ، وما قيل إن الرسول تركه لأمته .

وقد قال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : أدركت الناس متوافقين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم أحد .

• بعد كتابة المصاحف أخذ كل ينقل صورة عن الأصل فيحفظ ويقرأ .. وصار القرآن الروح لكل مسلم .. وبدأ انتشار المصاحف حتى روى عن رجل صالح هو غنيم بن قيس المازنى أنه قال : لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرءون الشعر ، فالعرب مولعون بالبلاغة والفصحى ، وقد وجدوا فى كتاب الله ما يغنى عن كل بليغ وفصيح .

ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليكِ فأرسلت حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها فى المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

• ويقول زيد بن ثابت : إن آية فقدت من الأحزاب حين نسخوا المصحف ، وقد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى : ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** ﴾ فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

▣ كاتب الوحى

أرسل أبوبكر رضى الله عنه إلى زيد بن ثابت[1] قائلاً : إنك كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن فتتبعت (القائل زيد) حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم ...** ﴾ إلى آخرها .

ويقول البراء : لما نزلت ﴿ **لايستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فى سبيل الله ...** ﴾ قال النبى ﷺ ادع لى زيداً وليجيء باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال اكتب : لايستوى القاعدون وخلف ظهر النبى ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعمى ، قال يارسول الله فما تأمرنى فما تأمرنى؟ فإنى رجل ضرير البصر فنزلت مكانها : ﴿ **لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله ...** ﴾[2].

---

(١) الحديث عن يحيى بن بكير عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن ابن السباق ... راجع باب كاتب الوحى عند البخارى الحديث الأول .

(٢) ٩٥/النساء .

▣ القـرآن على سبعة أحـرف

ويتحدث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما[1] : أن رسول الله ﷺ قال: **« أقرأنى جبريل على حرفٍ فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف »** .

ويتكلم كل من المسور بن مخرمة وعبدالله بن عبدالقارى أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟! قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلتُ: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقتُ به

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وهو عن سعيد بن عفير، عن الليث ، عن عقيل عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبدالله عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما .

[فـــائدة] :

القراءات السبع أو أن فلاناً يقرأ بالسبع ... والمقصود أن هناك قراءات على سبعة حروف ... وقد اختلف العلماء فى المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً . فالأول وهو قول أكثر أهل العلم، أن هناك سبعة أوجه من الألفاظ فى طريقة النطق بها .. وقد جاء فى حديث أبى بكر قال: جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال : ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ فقل : كاف شاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب .

والسبب فى ذلك : أن ذلك كان رخصة أن يقرأ الناس على سبع وذلك لما كان يتعسر على كثير من الناس التلاوة على لغة قريش . وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان الحفظ .. ثم كان بعد ذلك الإجماع على قراءة واحدة هى قراءة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء الراشدين المأمور باتباعهم.. وإنما جمعهم عليها حتى لايفضى اختلاف طريقة القراءة إلى تفرق الأمة فتم ترتيب المصاحف على الوجه الذى ذكر فلا يقرءوا بغيرها . وأن لايتعاطوا الرخصة التى كانت وقد ذهبت أسبابها .. حتى لا تؤدى إلى الفرقة والاختلاف وهناك رخص وجدت أسباب لتركها .. كما نهى عمر رضى الله عنه عن المتعة فى أشهر الحج لئلا نقطع زيارة البيت فى غير أشهر الحج .. وكان أبو موسى يبيح التمتع فترك فتياه اتباعًا لأمير المؤمنين .. وسعها وطاعة الأئمة المهتدين .

أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلتُ: إنى سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشام ؛ فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت ثم اقرأ ياعمر فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله ﷺ : « **كذلك أنزلت . إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤا ما تيسر منه** » .

▣ تأليــف القــرآن[1]

جاء رجل إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من العراق فقال : أى الكفن خير ؟! قالت : ويحك ومايضرك !؟ قال : ياأم المؤمنين أرينى مصحفك ، قالت : لم ؟ قال : لعلى أؤلف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف . قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام ؛ نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر لقالوا : لا ندع الخمر أبداً ، ولو نزل لا تزنوا لقالوا : لا ندع الزنا أبداً ، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإنى لجارية ألعب بل الساعة موعدهم ، والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال : فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السورة .

ويقول ابن مسعود فى بنى إسرائيل[2] والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى .

وقال البراء : تعلمتُ سبح اسم ربك قبل أن يقدم النبى ﷺ .

---

(١) باب تأليف القرآن – والحديث عن إبراهيم بن موسى عن هشام بن يوسف ، أن ابن جريج أخبرهم قال: وأخبرنى يوسف بن ماهك .. انظر صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن ، والتأليف بمعنى الجمع والترتيب ومعاذ الله تعالى أن يكون بمعنى أن يأتى المرء شيئاً لم ينزل به الوحى الأمين ، يأتى به من عندياته والله خير الحافظين .

(٢) الحديث عن آدم عن شعبة عن أبى إسحاق ، قال : سمعت عبد الرحمن بن يزيد ، سمعت ابن مسعود ... والحديث أخرجه البخارى فى كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن .

وقال عبدالله[1] : قد علمت النظائر التى كان النبى ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين فى كل ركعة فقام عبدالله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألنا فقال : عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون .

وسأل قتادة أنس بن مالك رضى الله عنه : مَن جمع القرآن على عهد النبى ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبوزيد[2] .

وقال أنس بن مالك : لم يجمع القرآن غير أربعة أبوالدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ثم أضاف أنس : ونحن ورثناه[3] .

وقال عمر بن الخطاب : أُبى أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أُبى ، وأُبى يقول : أخذته مِنْ فى رسول الله ﷺ فلا أتركه لشىء قال الله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية أو نُنسِهَا نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها ﴾[4]

---

(١) فى حديث قبل ذلك ذكره البخارى : حدثنا أبوالوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبوإسحاق ، سمع البراء رضى الله عنه قال : تعلمت سبح اسم ربك قبل أن يقدم النبى ﷺ .

أما الحديث الذى معنا فهو عن عبدان عن أبى حمزة عن الأعمش عن شقيق ، قال عبدالله ... الحديث . أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن .

(٢) الحديث عن حفص عن عمر عن شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبدالله بن عمر وعبدالله بن مسعود فقالا : لا أزال أحبه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ... الحديث

أخرجه البخارى فى صحيحه ،كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبى .

(٣) حديث عن معلى بن أسد عن عبدالله بن المثنى عن ثابت البنانى وثمامة عن أنس ... الحديث . أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن باب القراء من أصحاب النبى .

(٤) [١٠٦/البقرة] والحديث عن صدقة بن الفضل ، عن يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر ... الحديث .

أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن باب القُراء من أصحاب النبى .